

63

قَصَص

الأنبياء

عز حملا

صلى الله عليه وسلم (7)

واجبه من خلدجة

بالحلم، في حبيب الأحياء حبيب الأحياء

وسيد الأحياء حبيب الأحياء

أشرف الأحياء حبيب الأحياء





شَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنَايَتِهِ ،  
فَحَفِظَهُ اللَّهُ مِنْ مَسَاوِيِّ الْجَاهِلِيَّةِ .. فَلَمْ يَفْعَلْ  
شَيْئًا مِمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ قَوْمُهُ مِنْ تَعْظِيمِ الْأَصْنَامِ



وعبادتها ، والتقرب لها وإشراكها مع الله تعالى ..

ولم يله مثل لهو شباب مكة ، بل كان دائم التأمل  
في ملكوت الله تعالى ، وفي كونه ، وكان يعرف  
بفطرته النقية أن لهذا الكون إلها واحدا لا بد أن يعبد ،  
دون سواه من الآلهة الكاذبة ، التي يعبدها قومه ،  
ويتقربون إليها ..

كان في نهاره يرعى الغنم ، وفي ليله يخلو إلى التأمل ..  
كان يخلو بنفسه في غار خارج مكة ، ويعبد الله  
على دين أبيه الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ..  
وكان ﷺ يتحلى بالصفات الكريمة والأخلاق الفاضلة ،  
التي يندر وجودها في قومه .

فكان ﷺ أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ،  
وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما ،  
وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، ولهذا أسماه قومه

(الصادق الأمين) ..

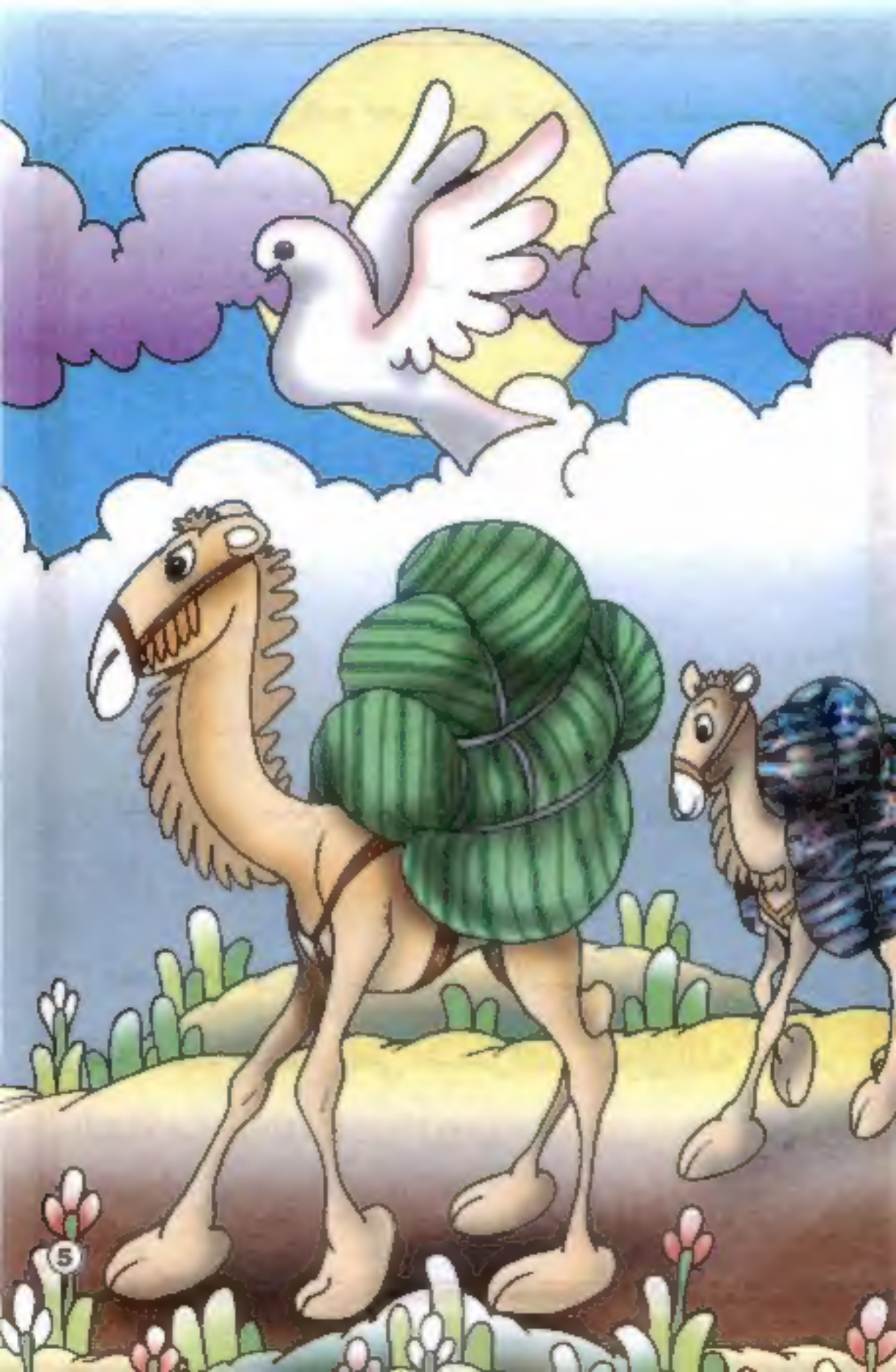
فلما بلغ ﷺ عامه الخامس والعشرين ، تعرف  
بالسيدة خديجة (رضي الله عنها) ، وتزوج منها ..  
وسببُ تعرفه صلى الله عليه وسلم بالسيدة خديجة  
رضي الله عنها أن السيدة خديجة كانت لها تجارة ،  
وكانت تستأجر الرجال للخروج في تجارتها مع  
تجارة قومها قريش ، إلى الشام وإلى اليمن ..

فلما سمعت عن أخلاق النبي ﷺ ، وعن أمانته  
وصدق حديثه أرسلت إليه ، وعرضت عليه أن يخرج  
في تجارتها إلى الشام ، على أن تعطيه ضعف ما كانت  
تعطي غيره من الرجال ..

فوافق النبي ﷺ على الخروج في تجارتها ، وخرج  
معه غلامٌ للسيدة خديجة يدعى ميسرة ..

فلما وصلا الشام نزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة





قريبة من صومعة أحد الرهبان ، فلما رآه

الراهب تحدث إلى ميسرة قائلاً :

- من هذا الرجل الذي يجلس تحت هذه الشجرة ؟

فقال ميسرة :

- إنه رجل من قريش من أهل الحرم ..

فقال الراهب :

- ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي .. وباع

رسول الله ﷺ السلع التي خرج بها من مكة ،

واشترى من سلع الشام ما اشترى ، ثم أقبل عائداً إلى

مكة ومعه ميسرة ..

فلما وصلا إلى مكة باعت السيدة خديجة رضي

الله عنها السلع التي اشتراها رسول الله ﷺ من

الشام فبارك الله تعالى لها ببركة النبي ﷺ وربحت

ضعف مالها .. وحدثها ميسرة عن قول الراهب ..



وكانت خديجة رضي الله عنها سيدة عاقلة

شريفة في قومها ، وقد أراد الله تعالى إكرامها بزواجها  
من رسوله ﷺ .. ولذلك أرسلت السيدة خديجة إلى رسول  
الله ﷺ من يخبره برغبتها في الزواج منه وأخبرته  
أنها ترغب في الزواج منه ، لقربته وشرفه ومنزله في  
قومه ، وأمانته وحسن خلقه ، وصدق حديثه ..

وقد كانت السيدة خديجة وقتها من أوسط نساء  
قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا .. وقد  
كان كل رجل في قريش يتمنى الزواج منها ، لكنها  
كانت ترفضهم جميعا .. فلما قالت السيدة خديجة  
رضي الله عنها لرسول الله ﷺ ما قالت ذكر ذلك  
لأعمامه ، فذهبوا معه لخطبتها من عمها عمرو بن  
أسد ، لأن أباهما كان قد مات في حرب الفجار .. ولما  
تم الزواج أمرت السيدة خديجة رضي الله عنها

بذبح شاة ، وأعدت طعاما للحاضرين من

أقاربها وأعمام النبي ﷺ ..

ويومها ألقى أبو طالب عم النبي ﷺ خطبة في

الحاضرين ، فقال :

- الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع

إسماعيل ، وجعلنا حصنة بيت ، وشوكة (حماة)

حرمة ، وجعل لنا بيتا محجوجا ، وحرما آمنا ،

وجسعلنا الحكماء على الناس .. ثم إن ابن أخي هذا

محمد بن عبد الله لا يؤزن به رجل إلا رجح ، وإن كان

في المال قل (أى فقير) فالمال ظل زائل ، وأمر حائل ،

ومحمد ممن قد عرفتم قرابته ... إلخ .

فلما انتهى أبو طالب من خطبته ، تكلم ورقة بن

نوفل ابن عم خديجة رضى الله عنها ، فقال :

- الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على





ما عُدَّت ، فتن سادة العرب وقادتها ،

وأنتم أهل ذلك كله ، لا تنكر العشيرة فضلكم ،

ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ، وقد رغبت

في الاتصال بحبلكم وشرفكم ، فاشهدوا على

معاشر قريش بأنى قد زوجت خديجة بنت خويلد

من محمد بن عبد الله ..

وكان زواج النبي ﷺ من السيدة خديجة رضى الله

عنها فرصة أكبر للعبادة والتأمل ، واعتزال الحياة

الدنيوية التي يحياها أهل مكة ..

فكان ﷺ يختلي بنفسه في غار حراء الأيام

والليالي عابدا ربه متأملا .. وكانت السيدة خديجة

رضى الله عنها ترعاه وترسل له الطعام ..

وهكذا مضت به الحياة ﷺ ، والله تعالى يحفظه

ويرعاه ، ويعدّه لتحمل أعظم رسالاته إلى الأرض ..

ولما بلغ رسول الله ﷺ الخامسة والثلاثين من عمره ،



فَرَزْتُ قَرِيْشٌ هَدَمَ الْكَعْبَةَ وَاعَادَةَ بِأَنْهَا ، لَكِنَّهُمْ  
كَانُوا يَتَحَوَّنُونَ مِنْ ذَلِكَ .

وَكَانُوا قَدْ أَحْصَرُوا حَشِبَ سَفِينَةٍ تَحَطَّمَتْ فِي الْخَرَابِ ،  
وَأَلْقَى الْمَوْجُ بِأَحْشَابِهَا عَلَى شَاطِئِ جَدَّةٍ ، فَقَرَرُوا  
اسْتِخْدَامَهُ فِي مَنَ سَقْفٍ لِلْكَعْبَةِ .. وَهَكَذَا



هدمت قريش الكعبة ، وجمعوا الأحجار

لنائها ، فلما أتموا بناءها ، ووصلوا إلى موضع  
الحجر الأسود ، أرادت كل قبيلة من قريش أن يكون  
لها شرف وضعه في مكانه .. ووقع بينهم الخصام ،  
وكاد يقع بينهم القتال بسبب ذلك .. ثم احتمعوا  
وتشاوروا في الأمر ، وانفقوا على أن يحكموا بينهم  
أول رجل يأتي إليهم ويدخل من باب المسجد ..

وتصادف أن كان أول قدم إليهم هو رسول الله ﷺ ،  
فلما رأوه قالوا :

— هذا الأمين رصبنا .. هدا محمد

وأحرروه الحصر ، وطلبوا منه أن يحكم بينهم ..  
فأحضر النبي ﷺ ثوبا ، ثم قرشه على الأرض ، ورفع  
الحجر الأسود بيديه الشريفتين فوضعه فوق الثوب .. ثم  
أمر كل قبيلة من قريش أن تمسك بأحد أطراف



الثوب ، وترفعه ، فرقعوه جميعا ، وساروا به إلى موضعه ،  
فحمل ﷺ الحجر ووضعه في مكانه ..  
ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة ، أكرمه الله  
تعالى برسالته ، فبعثه رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا  
للناس جميعا ..



وكان أول ما اختص الله تعالى به رسوله من

أمر النبوة الرؤيا الصادقة .. فكان رسول الله ﷺ لا يرى رؤيا في نومه إلا جاءت واضحة كفلق الصبح ، وتحققت بكل تفاصيلها ..

وحبب الله تعالى الخلوة إلى رسوله ﷺ ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده ..

وكان رسول الله ﷺ يعتكف في غار حراء طوال شهر رمضان من كل عام ..

وكان ﷺ يطعم من جاءه من المساكين والفقراء طوال هذا الشهر ..

فإذا انتهى من اعتكافه بغار حراء ، وغادره عائداً إلى بيته ، كان أول شيء يفعله هو التوجه إلى الكعبة المشرفة ، فيطوف بها سبعة أشواط ، أو ما شاء له الله تعالى أن يطوف بها .. ثم يرجع إلى بيته ..

فلما كان شهر رمضان من السنة التي أكرم الله تعالى



نبيّه محمداً ﷺ فيها بالنبوة ، خرج رسول  
الله ﷺ إلى غار حراء ليعتكف فيه .. فلما كانت  
الليلة المباركة ، التي اختارها الله تعالى لنزول الوحي  
بالقرآن على رسول الله ﷺ ، جاءه الملاك جبريل  
عليه السلام ، فقال له :

— «اقرأ» ..

— فقال رسول الله ﷺ :

— «ما أنا بقارئ» ..

أي أنني لست ممن يقرءون لأنني لا أعرف القراءة ..  
فضمّه جبريل إليه بشدة ، ثم تركه وقال :

— «اقرأ» ..

فقال رسول الله ﷺ :

— «ما أنا بقارئ» ..

فضمّه جبريل إليه مرة أخرى ، وقال :

— «اقرأ» ..

فأجابه رسول الله ﷺ :

— «ماذا أقرأ ؟»

فقال جبريل :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ..

[ الآيات من ١ : ٥ من سورة العلق ]

واختفى جبريل عليه السلام من الغار فجأة ، كما  
ظهر فجأة ..

وأحسن الرسول ﷺ بخوف شديد ، فأسرع إلى بيته  
وهو يتصبب عرقاً ، ويرتجف من البرد ..

رقم الإصدار : ٢٠٠٣/٤٤٢٩

( يتبع )

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٩٧٥ - ٨٨٨ - ٢

## فصل الأنبياء

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(٨)

الوحي والرسالة

احرص على اقتنائه